العقيدة : وخوف الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته

«لا نجاة إلا بالتوحيد النقى الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك»

«. . فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبدُالله ورسولُه . . »

«من حديث نبوى شريف من رواية ابن عمر وأخرجه البخارى»

بعث الله نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالمين وأرسله بالهدى ودين الحق لينقذ البشر من الضلال وينير لهم السبيل ويهديهم صراطا مستقيما لا عوج فيه .

الدعوة الى التوحيد :

واقتضت حكمة الله عزّ وجلّ أن يبدأ الرسول ﷺ بالدعوة إلى توحيد الله في الخلق والإيجاد والعبادة والتقديس والتشريع والهداية ، وبالدعوة إلى الإيمان بالوحى والرسالة ، وإلى الإيمان بالبعث والجزاء،وهذه الثلاثة هى العناصر الأولى للدين عند الله ، والتى لو آمن الناس بها ، وخضعوا فيها لمقتضى العقل المستقيم والوجدان الفطرى السليم لبرأت الإنسانية من أمراضها ، ووصلت بنورها إلى أقصى درجات السعادة فى متعة من الأمن ، ورغد من العيش وطيب الحياة .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ . . ﴾ النحل .

دعا الرسول ﷺ إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبالحجة والدليل الذى يهدى العقل وينير له الطريق، ولَفَت النفوس إلى آثار قدرة الله فى النفس وفى الكون المحيط بالإنسان.

وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه الواحد

وكان الرسول ﷺ مثلاً أعلى في الحلم والعفو، والتسامح، وسِعَ الناسَ حلمُه، وصبر على الأذى يُصيبه في نفسه، ولكنه ﷺ لم يكن يسمح قط بأن يتعارض هذا التجاوز والتسامح مع مبادىء الدين وعقائده.

فقد دعا ﷺ إلى التوحيد النقى الخالص المجرَّد عن كل شوائب الشرك والوثنية، المنزَّه عن كل تشخيص.. هذا التوحيد الذى يصل العبد بربه من غير وساطة.. فلا أصنامَ، ولا أوثانَ، ولا صالحين يتخذهم الناس وسائل وزُلْفى، فيرجُونهم، ويخشونهم، أويقدمون لهم القرابين، أو يتضرعون إليهم في ذل.

ولنسمع قولَ الحق تبارك وتعالى لنبيه ليعلِّم الناس حقيقة التوحيد:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الأنعام. ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة.

أمره ربه سبحانه وتعالى بالدعوة إلى توحيده وإلى عبادته وحده لا شريك له.. فدعا ﷺ إلى توحيد الله أصدقَ دعوة وأحرّها.. وجاهد ﷺ جهاداً متصلاً للقضاء على كل مظاهر الشرك والوثنية، وقدأكد ﷺ

منذ نادى فى الناس بدعوته أن كل إنسان مسؤول أمام ربه عن نفسه، وأن من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ المدثر.

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ فاطر.

وقد قطع الله حُجج الذين يعتمدون على الصلحاء فى الشفاعة لهم عند الله، وبين لهم فساد وَهْمِهم في الارتكان على مثل تلك المعتقدات الباطلة، حتى يكون الإنسان على بصيرة فيقبل على الطاعة ويتقرب الى الله بصالح العمل، ويحذر المعصية.. يقول عزوجلّ:

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ... ﴾ النساء ١٢٣.

وفى هذا بيان وتأكيد للمسؤولية الشخصية، فكل إنسان مسؤول أمام ربه مسؤولية كاملة، لا ينفعه نسبه، ولا يقربه من ربه إلا العمل الصالح يرجو به وجه الله وحده.

وقد وضح الحبيب المصطفى ﷺ هذا الأمر منذ جهر بدعوته فقال من خطبة له: «**يا صفيةُ عمةَ محمد إعمَلى فإنى لا أُغني عنك من الله شيئاً.. يا فاطمةُ بنتَ محمدٍ اعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً**».

خوف الرسول على أمته:

وكان ﷺ شديد الخوف على أمته أن تخطىء وتزلَّ، والخطأ فى العقيدة والانحراف عن صراط التوحيد الخالص يهدم أساس الإسلام فى نفس المؤمن، وتسوء معه العاقبة والعياذ بالله، وقد ظل ﷺ يعمل على تنقية العقيدة، ويسدّ المنافذ أمام كل لوثة من لوثات الشرك.

عن عمر رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا تُطْروني كما أطرَتِ النّصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدُه، فقولوا عبدُ الله ورسوله . .**» أخرجه البخارى.

فلقد غالى النصارى فى مدح عيسى عليه السلام حتى جعله بعضهم إلهاً وادّعوا أنه ابن الله . . ورسولنا ﷺ يحذرنا من هذه المزالق، وقدم ﷺ صفة العبودية على صفة الرسالة فى الحديث السابق، وكذلك فى التشهد حرصا علينا أن يبلغ بنا تعظيمُه ﷺ إلى الحدِّ الذى وقع فيه النصارى بالنسبة لعيسى عليه السلام . . وهذا موطن دقيق زلّت فيه أقدام.

فلنذكر ـ دائما ـ «أنه ﷺ عبدُ الله ورسوله» أكرمه ربه وأعلى منزلته وجعله إماما للنبيين، وصاحبَ الشفاعة يوم الدين بإذن رب العالمين . . ولنذكر قوله ﷺ وهو فى مرض موته محذراً ومبصراً: «**لا تجعلوا قبرى وثنا**».

وقوله ﷺ: «**لعن الله اليهودَ والنصارى اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد**».

ولنذكر دائما أن حُبّ المؤمن لنبيه يقتضى طاعَتَهُ وطاعةُ الحبيب الهادى ﷺ تكون بالاتباع لا الابتداع فقد كان ﷺ يوجه صلاته وزكاته وصدقته ورجاءه وخوفه ودعاءه واستغاثته وتوكله وكل عباداته لله وحده.

لا تسامح فى أمر العقيدة:

وكان ﷺ مع حرصه على هداية الناس لا يتسامح أبداً فى أمر العقيدة ولا يقبل أى شرط يتنافى مع صحتها وسلامتها ولا يرضى ممن يرغب فى الإسلام إلا التوحيد النقى الخالص وبلا إرجاء.

فقد حدث فى العام التاسع أن أقبل على المدينة وفد ثقيف يعرض على

الـرسول ﷺ إسلام قومهم على أن يُعفيهم من الصلاة. فأبى عليهم ذلك وقال لهم: «.. **أمّا الصلاةُ فإنه لا خير فى دين لا صلاة فيه..**». فقبلوا أن يؤدّوا الصلاة، ثم سألوا رسول الله ﷺ أن يترك لهم «اللات» لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى ﷺ ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنةً سنة ويأبى عليهم، حتى سألوه شهراً واحدا بعد مقدمهم فأبى أن يدعها لهم أجلاً مُسمّى.. فلما رأوا ذلك من رسول الله ﷺ.. طلبوا منه ألاَّ يكسِّروا أصنـامهم بأيديهم فقال ﷺ: ﴿**أمّا كسْرُ أوثانكم بأيديكم فسَنُعفيكم منه**». ثم وجّه معهم أباسفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة فقاما بهدم اللات.

وأصحابه صلى الله عليه وسلم من بعده:

واقتـدى بالحبيب الهـادى ﷺ أصحابه فظلوا يحمون العقيدة، ولا يسمحون بأن تعود أدنى لوثة من لوثات الشرك إلى الحياة الإسلامية النقية.

ففى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أخذ بعض الناس يأتون الشجرة التى بايع رسول الله ﷺ تحتها بيعة الرضوان فيصلّون عندها.. فبلغ عمـرَ ذلك؛ فأمر بها فقُطِعت.. حتى لا تتسرب أى شائبة من شوائب الشرك إلى حياة الناس.

وفى القـدس رأى عمـر كعب الأحبـار يخلع نعله ويلمس برجليه الصخرة ـ وذلك عند دخولهم بيت المقدس ـ فقال له عمر: «ضاهيتَ ـ والله ـ اليهودَ يا كعب» منكراً عليه عمله هذا.

قبـول العمـل الصالـح:

يقول الله عزّ وجل لنبيه وحبيبه محمد ﷺ:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الكهف.

فالرسول بشر لا يعلم من أمور الغيب إلا ما علّمه الله عن طريق الوحى.

والإلٰهُ المعبود الذى يجب أن نتوجَّه إليه بالعبادة من صلاة وصيام وصدقة وحجّ وطواف وخوف ورجاء وتوكّل واستعانة ودعاء واستغاثة إلهٌ واحد سبحانه وتعالى جَلّ شأنه.

والعمل الصالح لا يكون مقبولا إلا بشرطين هما:

أن يكـون العمل صوابا وصوابُ العمل يتحقق بالاقتداء بالحبيب المصطفى ﷺ واتّباع سنته.

وأن يكـون العمل خالصاً لوجه الله تعالى خالياً من كل شائبة من شوائب الشرك، فلا ندعو إلّا الله، ولا نستغيث إلا به، ولا نتوكل إلا عليه ـ سبحانه ـ ولا ننذر إلا لله، ولا نرجو إلا الله، ولا نخاف إلا الله، ولا نجعل شيئاً من العبادة لغير الله عزّوجلّ، لأن ذلك شرك يخلّد صاحبه فى جهنم إذا مات عليه ولم يتب توبة نصوحا.

كذلك نتحاشى الرياء وهو طلب المنزلة فى قلوب الناس بالعبادات وأعـمال الخـير، وهـو من خبائث أفعال القلوب، والله عز وجل أغنى الشركـاء عن الشرك، وفى الحـديث الذى أخرجه مسلم فى صحيحه ورواه أبوهريرة يقول النبى ﷺ، يقول الله تعالى فى الحديث القدسى: «**أنا أغنى الشركاءِ عن الشِّرْك، مَنْ عمِلَ عملا أشركَ فيه غيري تركتُه وشركَهُ**».

نسأل الله عزّ وجلّ إيمانا صحيحا ويقيناً صادقاً.